

القدس الثورة المجيدة، والولادة الجديدة

أ.د. سعيد أبو علي

المشرف العام ورئيس تحرير مجلة المقدسية

على امتداد الزمن، ظلت القدس، ولسوف تبقى، بكل ما تمثله من قيم ومعانٍ، بوابة السلام، أو بوابة الحرب، وذلك ما يؤكده التاريخ بماضيه وحاضره، وشواهد واقعه. وذلك أيضاً ما يُصمّم شعب فلسطين بطلائعه من المقدسيين، على إدامته وتكريسه، جواباً وردّاً على الاحتلال بسياساته وممارسته، استيطاناً وتهويداً، وقتلاً وتشريداً، مهما بلغت التضحيات، على امتداد عقود الصراع الطويلة، مع هذا الاحتلال الاستيطاني الاستعماري، والإحلالي العنصري، الذي رغم إمكاناته الهائلة، وكل جرائمه الوحشية، يُجابه بصمود وعزم، وإرادة لا تلين، ولا تعرف التراجع والمساومة. فلا سلام إلا سلام القدس العربية عاصمة الدولة الفلسطينية، مدينة السلام والتسامح، والإيمان والأديان، مدينة الصلاة، وكرامة الإنسان، التي لن تستكين، أو تتحنى للاحتلال والاستيطان، والتهويد والتطهير

العِرْقِيّ، والفصلِ العُنْصُرِيّ، ولن تُضَيِّعَ تَارِيخَهَا، وحضارتها، ومعالمها، وتراثها وهويّتها.

إنّها القدس، بَوَابَةُ الحَرْبِ وبَوَابَةُ السَّلَامِ. ولأنّهُ نَصُّ فَصْلِ الخِطَابِ، الذي يَكْتُبُهُ الفِلَسْطِينِيُّونَ بِدِمَائِهِمْ، لا مَعْنَى لِفِلَسْطِينِ دُونَ القدسِ، دُرَّةُ التَّاجِ، بَقِيَتِ القدسُ جوهرَ الصُّرَاعِ، كما هي جوهرُ تحقيقِ السَّلَامِ الذي لن يَتَحَقَّقَ إلَّا بِحَرِيَّةِ القدسِ، واستقلالِ فِلَسْطِينِ. سلامًا مُلَبِّيًا حقوقَ الشَّعْبِ الفِلَسْطِينِيِّ الثَّابِتَةَ والمَشْرُوعَةَ، كَانِسًا الاِحتِلَالَ، مُصَفِّيًا وجوده وما أوجده، من تشويهٍ وتزويرٍ للواقعِ والحقيقةِ، ستواصلُ القدسُ والمقدسيُّونَ صمودهم ونضالهم، ومقاومتهم، وتصدّيهم للاحتلالِ وخُطَطِهِ ومشاريعه في طليعةِ صفوفِ الشَّعْبِ الفِلَسْطِينِيِّ المُوَحَّدَةِ، داخلَ الوطنِ المحتلِّ وخارجَه، في مواجهةِ الاِحتِلَالِ، وسياساته، وممارساته.

سيواصلُ الشَّعْبُ الفِلَسْطِينِيُّ دفاعه عن القدسِ قَلْبِ فِلَسْطِينِ. سيواصلُ نضاله الوطنيَّ من أجلِ حُرِّيَّتِها، سيواصلُ مسيرتهِ المظفَّرةِ إلى القدسِ عاصمةِ الدَّوْلَةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ المُستقلَّةِ، وستبقى رايةُ الثَّوْرَةِ بأشكالها وأدواتها المتعدِّدةِ عاليةً خفاقةً، وستبقى جَذْوَتُها مُتَّقَدَّةً، وفي كلِّ يومٍ طريقِ النُّصْرِ، بالكفاحِ المُجيدِ، والصُّمودِ العنيدِ، والتُّضحياتِ الغاليةِ، يَكْتُبُ الشَّعْبُ سَطْرًا في سِجْلِ المَلْحَمَةِ التَّارِيخِيَّةِ الكُبْرَى، يُرَاكِمُ المَكاسِبَ والانتصاراتِ، والإنجازاتِ، في المواجهةِ المفتوحةِ المتنوّعةِ الأدواتِ والأسلحةِ. وفي إطارِ حربِ الشَّعْبِ، التي تتصدَّرها وتؤطِّرها المقاومةُ الشَّعْبِيَّةُ بِحَجَرِها ومقلاعها وهتافها، التي أكَّدتْ قوَّةَ العزيمةِ المقدسيَّةِ، ومركزيَّةَ القدسِ في

الوجدان والممارسة، لدى جميع أبناء فلسطين، وقواهم الحية على اختلاف
انتماءاتهم.

وهكذا كانت القدس تُفجّر الانتفاضة تلو الأخرى، والهبة الشعبية تلو
الهبة، منذ بدء الاحتلال، في سائر أرجاء الأرض الفلسطينية المحتلة.
ومراجع التاريخ زاخرة بروايات أحداثه، وهيئات أن تغفلها الذكرة الجمعية
الفلسطينية، وصولاً إلى انتفاضة القدس الجارية، بوقائعها ومفاعيلها،
وتداعياتها، وبأشكالها وأدواتها، وهي تمتد من القدس إلى عموم أرض
فلسطين التاريخية، من 1948م فلسطيني الداخل، إلى 1967م في الضفة
وغزة، واتساعاً إلى كل تجمعات اللجوء الفلسطيني عبر العالم، وامتدادات
القضية الفلسطينية، إلى عمقها الطبيعي، ارتباطاً بالقدس والأقصى، لدى
جموع الأمة العربية والإسلامية، وأحرار العالم.

في هذا الإطار يُسجل التاريخ الحديث أن اقتحام شارون للمسجد الأقصى،
في أيلول عام 2000م كان عمود الثقب الذي أشعل انتفاضة الأقصى.
الانتفاضة المباركة التي تواصلت على مدار خمس سنوات بعد انتهاء المرحلة
الانتقالية للحكم الذاتي؛ بموجب «اتفاق أوسلو»، وتكر سلطة الاحتلال
للانتقال إلى المرحلة التالية، بإعلان الاستقلال وإقامة الدولة، لتبدأ منذ
ذلك التاريخ، مسيرة مجيدة جديدة لكفاح الشعب الفلسطيني، عمادها
المقاومة الشعبية، وعنوانها القدس عاصمة الدولة المستقلة، إستراتيجية
وطنية في تجذير البقاء، وتعزيز مقومات الصمود، وحشد موارد الشعب؛
لإنهاء الاحتلال، وتحقيق الاستقلال.

ذلك في إطار التصدي، ومواجهة العدوان والإرهاب الإسرائيلي المنظم، ومشاريع الاستيطان، وبناء الجدران، والتهود، والتهجير القسري، وتدنيس المقدسات الإسلامية والمسيحية، وبدء تنظيم اقتحام المسجد الأقصى؛ توطئة لتقسيمه وهدمه. فيما تالت الانتفاضات والمعارك التي يخوضها أبناء الشعب الفلسطيني، وخاصة في القدس.

نستحضر هنا، نماذج مشرفة حققتها تلك المعارك، كمعركة البوابات الإلكترونية، وباب الرحمة، والخان الأحمر، وصولاً إلى معركة الشيخ جراح، وسُلوان، ومعركة باب العامود المستمرة، إلى معركة مواجهة تنظيم مسيرة الأعلام للمستوطنين، واقتحام المسجد الأقصى في العشر الأواخر من رمضان، لمنع المسلمين من تأدية المشاعر الدينية، وتمكين المستوطنين من تأدية صلواتهم بالحرم القدسي، ما ضاعف من تأجيج المشاعر، وتصاعد المقاومة الشعبوية، وهو النهج المقاوم الذي دأبت عليه القدس، وسائر أرجاء فلسطين، والذي حقق وراكم العديد من الإنجازات في مواجهة الاحتلال، وسياساته وممارساته.

غير أن دخول قطاع غزة بقدرات عسكرية لأجنحة المقاومة إلى جانب المقاومة الشعبوية الباسلة في الضفة الغربية، وفلسطيني 48م في معركة الدفاع عن القدس، ودعم مقاومة المقدسيين الشجاعة لإجراءات الاحتلال، التي تمازت في بطشها وعنفها، وخطورتها بصورة غير مسبوق؛ استهناراً بالحقوق والأرواح، والمقدسات، أحدث تحوُّلاً نوعياً في طبيعة المواجهة، ونقلها إلى مستوى جديد، وأدوات مختلفة بأبعاد جديدة، بمفهوم الحرب

التي تُرتَّب من النَّتائِجِ والآثَارِ والتَّداعِياتِ، مَعَ أَنِّهَا لَيْسَتْ الحَرْبِ الأُولَى، وَلَنْ تَكُونَ الأَخِيرَةَ، بِهَدَفِ التَّأثيرِ على موازِينِ القُوَى. لَكِنَّ هَذَا الدُّخُولَ لِفِصائِلِ المقاومةِ بِقِطاعِ غَزَّةَ نَقَلَ المِواجهةَ من إِطارِ المِقاومةِ الشَّعبِيَّةِ إِلى ساحةِ الحَرْبِ، هَذَا الدُّخُولُ القُوِيُّ والمُسَلِّحُ كانَ الذَّرِيعَةَ المِباشِرَةَ لِعُدوانِ إِسْرَائِيلِيٍّ جَدِيدٍ على قِطاعِ غَزَّةَ المِحاصِرِ، منذَ ما يَزِيدُ على خَمسةَ عَشَرَ عَامًا تَسْتَخِدمُ فِيهِ» إِسْرَائِيلُ» أَعْتَى أنواعِ الأَسلِحَةِ الفِتاكَةِ لِإِحْداثِ تَدْمِيرٍ غَيْرِ مَسْبوقٍ فِي القِطاعِ، خَاصَّةً على مِستوى البِنِيَّةِ التَّحْتِيَّةِ المُتَداعِيَةِ فِي الأَساسِ، وارْتكابِ المِزيدِ من المِجازِرِ الدَّمَوِيَّةِ الرَّهيبةِ، الَّتِي كانَتْ حَصيلَتُها:

(254) شَهِيدًا، من بَيْنِهِم (66) طِفْلاً، و(39) سَيِّدَةً و(17) مُسِنَّاً، وَأُصِيبَ (1948) آخَرُونَ بِجِراحٍ مِخْتَلِفَةٍ، من بَيْنِهِم (289) طِفْلاً، و(211) سَيِّدَةً، بِجِراحٍ مِخْتَلِفَةٍ، وَوَفَّقَ المِعلُومَاتِ الأَوَّلِيَّةِ الصَّادِرَةِ عَنِ الجِهاَتِ الرَّسْمِيَّةِ والدُّوَلِيَّةِ، ما زالَتْ أَعْمالُ البِحْثِ عَنِ المِفقُودِينَ تَحْتَ الرُّكامِ مِستَمِرَّةً. إِضافةً إِلى 35 شَهِيدًا، وَأَكْثَرَ من أَلْفِي مُصابٍ وَجِريحٍ بِالضَّفَّةِ الغَربِيَّةِ. وَهنا نَنحِني إِجْلالاً وَتَرَحُّمًا على أرواحِ شُهداءِ القُدسِ، وَغَزَّةَ، وَالضَّفَّةِ، شُهداءِ على طَرِيقِ تَحْرِيرِ فِلَسْطِينِ، كما تَسَبَّبَ العُدوانُ الإِسْرَائِيلِيُّ على غَزَّةَ على مِدارِ الـ 11 يَوْمًا، فِي:

تَهْجِيرِ قَسْرِيٍّ لِمَا يَزِيدُ على مائَةِ أَلْفِ مِواطِنِ، وَتَدْمِيرِ قُرابةِ 1800 وَحْدَةٍ سَكْنِيَّةٍ بِشِكلٍ كَلِّيٍّ وَبِليغِ، وَالْحاقِ أَضْرابِ بِقُرابةِ 16800 وَحْدَةٍ سَكْنِيَّةٍ بِشِكلٍ مِتوسِّطٍ وَجِزْئِيٍّ، فَضْلاً عَنِ قِصْفِ 184 بُرْجًا وَمَنْزِلاً سَكْنِيًّا. إِضافةً إِلى تَدْمِيرِ 74 مَقْرًا حُكُومِيًّا وَمُنْشأةً عَامَّةً، كما تَسَبَّبَ العُدوانُ فِي تَدْمِيرِ

كُلِّي لـ 4 مساجد، وتَضُرُّرٍ جزئيٍّ لـ 40 مسجدًا وكنيسةً واحدةً، ومبنيٍّ وقفيًّا مؤلف من خمسة طوابق ومرافقٍ وقفيَّة. كما قصفت طائرات الاحتلال الحربيَّة 33 مؤسسةً إعلاميَّةً، وإصابةً 170 صحفيًّا. وأدى العدوان إلى تدمير أكثر من 355 منشأةً صناعيَّةً وتجاربيَّةً، من بينها 55 مصنعًا و300 محلٍّ تجاريٍّ وسياحيٍّ؛ ما أدى لتوقُّف أكثر من 30 ألف عاملٍ عن أعمالهم. وإلى إحداثٍ دمارٍ كبيرٍ في البنية التَّحتيَّة لِشبكةِ الاتِّصالاتِ والإنترنت، والطُّرُقِ، والمياهِ، والصَّرَفِ الصَّحيِّ، وتَضُرُّرٍ مئاتِ المركباتِ بشكلٍ كاملٍ وجزئيٍّ، بقيمةٍ تقديريَّةٍ للخسائرِ بلغت أكثر من 5.5 مليون دولار.

لقد أدَّى العدوانُ إلى استشهاده 27 طالبًا، وتَضُرُّرٍ قُرابة 46 مدرسةً، بينها مدارسٌ خاصَّةٌ، وأخرى تتبَعُ لوكالةِ «الأونروا»، كذلك تَضُرُّرٍ 66 مدرسةً ومؤسسةً تعليميَّةً حكوميَّةً، ومرافقٍ صحيَّةٍ، وعياداتٍ رعايةٍ أوليَّةٍ. وفي الزراعة خسائرٌ بنحو 27 مليون دولار.

وهذا ما يُؤشِّرُ إلى الكلفةِ الباهظةِ للعدوانِ الإسرائيليِّ في الأرواحِ والممتلكاتِ العامَّةِ والخاصَّةِ، وإلى التَضحياتِ الجسيمةِ والغاليةِ التي يُقدِّمها الشعبُ الفلسطينيُّ من أجلِ حريَّتهِ واستقلاله.

ورغمَ ضراوةِ العدوانِ، وشِدَّةِ فتكِ الآلةِ العسكريَّةِ الإسرائيليَّةِ، ورغمَ التفوُّقِ الكاسحِ للاحتلالِ، في موازينِ القُوَى، فإنَّ المقاومةَ الفلسطينيَّةَ كشفتَ عن قُدَّراتٍ جديدةٍ في نطاقِ هذه الحربِ المفتوحةِ التي تتكرَّرُ بصورةِ الحربِ الرَّابعةِ على قطاعِ غزَّة، وقد تمثَّلت هذه القُدَّراتُ خاصَّةً في إطلاقِ 4300

صاروخاً خلال 11 يوماً، وصلت تل أبيب، وديمونا في النقب وفرضت حظر التجوال الشامل على الإسرائيليين، بما في ذلك إغلاق المطارات والموانئ، ومحطات الغاز، قتل جرائها 12 إسرائيلياً، وأصيب 330، ومصادر غير رسمية تتحدث عن أرقام أكبر بكثير، أما الخسائر الاقتصادية فقد تجاوزت 7 مليار شيكل (2.14 مليار دولار)، وهذا يعني 5% من الناتج القومي الإسرائيلي، إضافة إلى الخسائر العسكرية التي ترفع مجمل الخسائر الإسرائيلية إلى 8% من الناتج القومي، إضافة إلى خسائر الممتلكات الخاصة 200 مليون شيكل.

ولا شك في أن الطرف الفلسطيني هو الطرف الأضعف بموازين القوى العسكرية المحضة، أو الخالصة، بما لا يقاس، أو يقارن، لذلك ستبقى إستراتيجية المقاومة الشعبية هي الإستراتيجية الوطنية الأكثر استجابة وملاءمة لموقع الشعب الفلسطيني، في موازين القوى، ومع ذلك، فإن هذا الشعب، وعلى ضعف موارده ومحدوديتها، يمتاز بقوة إرادته، وعمق إيمانه بحقه، وإصراره على نيل حريته، وانتزاع حقوقه، وتحقيق استقلاله، وبناء دولته، بكل ما أوتي من قدرة وإمكان يستطيع تطويرهما، ويمكنه بناؤهما في دفاعه المشروع عن وجوده وحقوقه، وهو الطرف الأكثر قوة بموازين قوة العدل والأخلاق، والحق، وموازين الشرعية والقانون الدولي، وإن افتراض إمكان إضعاف الشعب الفلسطيني والرهان على تراجع إرادته مع الزمن بما يمهّد لتصفية قضيتة الوطنية، هو افتراض خاطئ بالمطلق، ولن يسهم إلا في مزيد من الحروب، وعدم الاستقرار، وإن تمادي الاحتلال في ممارسة غطرسة القوة، لن تجدي مع صمود الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة، بل

تذكيها وتحفزها، ومع كل جيل فلسطيني جديد تولد عزيمة جديدة، وإصرار أكثر قوة على استعادة الحقوق.

وقد أثبت الشعب الفلسطيني بصموده، وتضحياته، وشجاعته في الدفاع عن وجوده وحقوقه، ومقدساته، على امتداد عقود الصراع، وخاصة في هذه المواجهة من أجل القدس، القدرات العظيمة الكامنة في هذا الشعب الأبّي، على مواجهة التحديات على تجذير البقاء، وتجلت قدرة هذا الشعب في وحدته، وقوة هويته، وإيمانه بحقه في هذه الحرب، بصورة حاسمة وجديدة، لقد كان هذا الإنجاز الأهم الذي يؤكد هوية القدس العربية، المستمدة من هوية هذا الشعب الفلسطيني، وكأنها ولادة جديدة.

صحيح أن الوضع الفلسطيني كان بمنتهى الصعوبة، قبيل هذه الحرب الرابعة التي امتدت ساحات معاركها لتشمل فلسطين التاريخية، وكل الفلسطينيين في الوطن والمنايف، إذ كانت مؤشرات الوضع الفلسطيني الصعب قبيل الحرب، تبدو واضحة جراً تبعات الحصار السياسي والمالي، المفروض على السلطة الفلسطينية بالضفة الغربية، مضافاً إلى حصار شامل لغزة منذ عقد ونصف، وتفاقم الأوضاع المعيشية، إلى جانب تراجع موقع القضية بجدول الأعمال الدولي، بعد صراع ميري في التصدي لسياسات إدارة ترامب، ومحاولات فرض «صفقة القرن»، مع تنامي تهديد يواجهه الرواية الفلسطينية الأصلية الحقيقية للصراع، إلى جانب الضعف في الإسناد العربي، فيما كانت العلاقات الفلسطينية في حالة قطيعة ومواجهة مع «إسرائيل» والإدارة الأمريكية.

كُلُّ ذَلِكَ، كَانَ يَتَرَكُ مفاعيلَه المُمَثِّلَة بحالَة شديدة من اليأس والإحباط في عملية سلام جادة، مع تراجع كبير بإمكان تطبيق حلِّ الدولتين وفُرصه، الذي يُمثِّل الخيارَ الدَّوْلِيَّ لِتَحْقِيقِ السَّلَامِ الَّذِي يَنْشُدُه الشَّعْبُ الفِلَسْطِينِيُّ، فيما تتراكم الصُّعوباتُ والتَّحْدِيَّاتُ الدَّاخِلِيَّةُ النَّاجمةُ عن الانقسامِ وتَبِعَاتِه. لكن، وبعدَ الحربِ وتجلياتِ وقائعِها المِيدَانِيَّةِ، وما حَقَّقْتَه من نتائجٍ وتداعياتٍ، بوقْفِ إطلاقِ النَّارِ، فَإِنَّ مِنَ المَنْطَقيِّ العُودَةَ إلى البَحْثِ عن تلكِ المؤشِّراتِ، التي كانت تُشكِّلُ حدودَ الوضْعِ، ما قبلَ الحربِ، ومُوصَفَاتِه، وما آلتَ إليه هذه المؤشِّراتُ على المستويينِ الإِسْرَائِيلِيِّ والفِلَسْطِينِيِّ.

فعلى المستوى الإِسْرَائِيلِيِّ: كَشَفَتْ هذه الحربُ أهمِّيَّةَ مشاركةِ فلسطينيِّ 48 ودورِهِم مع أبناءِ شَعْبِهِم في الدِّفاعِ عن القدسِ، وانكشافِ فَشْلِ التَّعايشِ، وتدوينِ الهُويَّةِ، وأفاقِ المُستقبِلِ بانصهارِ الشَّعْبِ الفِلَسْطِينِيِّ في بونقَة النُّضالِ المُشْتَرَكِ، والصِّفِّ الواحدِ بانتماءِ وطنيِّ أصيلٍ، يُسْقِطُ مزاعمَ وأدعاءاتٍ بعدَ عقودِ الاحتلالِ ومشاريعِ التَّهويدِيةِ، وممارساتِهِ العُنصرِيَّةِ، فتُؤكِّدُ القدسُ المُوَحَّدَةَ على جُغرافيَّتِها الفِلَسْطِينِيَّةِ، وهُويَّتِها الوطنيَّةِ، كما تَكشِفُ مدىَ مأزِقِ مشروعِ اليمينِ الإِسْرَائِيلِيِّ الاستيطانيِّ - التَّهويدِيِّ؛ رغمَ وَحْدَةِ اليمينِ الإِسْرَائِيلِيِّ، وقُوَّتِه.

أما على المستوى الفِلَسْطِينِيِّ: فقدَ كانتَ تتأكَّدُ وَحْدَةُ الشَّعْبِ الفِلَسْطِينِيِّ بفِلَسْطِينِ التَّارِيخِيَّةِ، والشَّتاتِ تَجْمَعُه الأهدافُ والطُّمُوحُ كما المشاعرُ المُشْتَرَكَةُ، والإرادةُ الواحدةُ؛ بما يُجسِّدُ عودَةَ انبعاثِ الهُويَّةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ، وإعادةَ إحياءِ القضيَّةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ عربيًّا ودوليًّا، وتضامناً شعبيًّا، وعربيًّا،

وَدُولِيًّا وَاسِعًا يُؤَسِّسُ لِمَسَارٍ جَدِيدٍ فِي النُّضَالِ الْوَطْنِيِّ، وَيُنْهِي الْحَصَارَ السِّيَاسِيَّ لِلسُّلْطَةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ بِمُنَاحٍ إِجْبَابِيٍّ دَوْلِيٍّ، يَنْبَغِي اسْتِثْمَارُهُ بَدَأًا مِنْ إِعَادَةِ تَهْيِئَةِ فِلَسْطِينِيَّةٍ ذَاتِيَّةٍ تُلْغِي أَيَّةَ ذَرَائِعَ، أَوْ مُبَرِّرَاتٍ لِلإِطَاحَةِ بِإِنجَازَاتِ هَذِهِ الْحَرْبِ، وَمَا قَدَّمَهُ الشَّعْبُ مِنْ تَضَحِيَّاتٍ.

وَبِكَلِمَاتٍ أُخْرَى، لَقَدْ أَعَادَتْ مُجْرِيَّاتُ الْحَرْبِ رَسَمَ سَاحَةِ الصَّرَاحِ السِّيَاسِيِّ وَالْجُغْرَافِيِّ: فَسِيَاسِيًّا كَانَ الْعَالَمُ مَعَ فِلَسْطِينِ بَهْوِيَّتِهَا وَوَحْدَتِهَا، حَتَّى فِي أَمْرِيكََا بِصُورَةٍ غَيْرِ مَسْبُوقَةٍ؛ رَغْمَ عَجْزِ مَجْلِسِ الْأَمْنِ عَنِ اتِّخَاذِ الْمَوْقِفِ الْمُعَبَّرِ عَنِ ذَلِكَ. وَجُغْرَافِيًّا كَانَتِ الصُّورَةُ قَبْلَ الْحَرْبِ تُظْهِرُ أَنَّ الْقُدْسَ مَعزُولَةً مُحَاصِرَةً، وَكَانَتِ الضُّفَّةُ الْغَرْبِيَّةُ مَنفَصَلَةً عَنِ قِطَاعِ غَزَّةَ، وَضِفَّةٌ مُجَزَّأَةٌ بَيْنَ مَسْتَوْتَيْنِ مَسْتَعْمَرَيْنِ، وَفِلَسْطِينِيَّيْنِ مَوَاطِنِيَّيْنِ، بَيْنَ الْغُرَبَاءِ الْغَزَاةِ وَبَيْنَ أَصْحَابِ الْأَرْضِ الْأَصْلِيَّةِ، فِيمَا كَانَتْ تَتَوَارَى صُورَةُ حُلِّ الدَّوْلَتَيْنِ. وَلَكِنَّ التَّحَامَّ الْقُدْسِ مَعَ الضُّفَّةِ وَغَزَّةَ، وَكَذَلِكَ فِلَسْطِينِيَّي الدَّاخِلِ، كَانَ يُعِيدُ إِحْيَاءَ فِلَسْطِينِ التَّارِيخِيَّةِ، وَقَرَارِ التَّقْسِيمِ لِعَامِ 1947م، بِوَحْدَةِ الْجُغْرَافِيَا الْفِلَسْطِينِيَّةِ.

هَذِهِ مَسَاحَةٌ لِلْبَاحِثِينَ عَنِ حُلِّ الصَّرَاحِ تَبْدَأُ مِنْ جُغْرَافِيَا 1947م إِلَى جُغْرَافِيَا 1967م، فَإِنَّ لَمْ يَكُنْ حُلُّ الدَّوْلَتَيْنِ عَلَى أُسَاسِ 1967م، فَإِنَّهُ حُلُّ قَرَارِ التَّقْسِيمِ 1947م الَّذِي لَا يَنْبَغِي تَغْيِيْبُهُ، وَإِلَّا فَإِنَّهَا الْحَرْبُ، بِمَعَارِكِهَا الْمُتَوَاصِلَةِ، تَرَكَمُ الْإِنجَازَ عَلَى أَرْضِ فِلَسْطِينِ الَّتِي لَا تَغِيْبُ هُوِيَّتُهَا، وَلَا تَهْوُنُ عَزِيمَتُهَا، بَعْدَ مُضِيِّ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ عَلَى إِعْلَانِ «وَعْدِ بِلْفُور».

وَهَكَذَا، فَإِنَّ مُجْمَلَ الْمُعْطِيَّاتِ وَالْحَقَائِقِ الْمُهْمَّةِ عَلَى الْجَانِبَيْنِ الْفِلَسْطِينِيَّيْنِ

والإسرائيلي، بعد الحرب، تقود إلى الاستخلاص، وبكل تأكيد، أن هذه الحرب أحدثت أثراً مهماً في موازين القوى ينبغي استثمار نتائجه بصورة جيدة، وهذا يفتح المجال أمام التحرك السياسي الفلسطيني وبالوقت نفسه الإصرار على مواصلة المقاومة الشعبوية، الإستراتيجية الأساسية التي ينبغي الاتفاق الوطني الكلي على إعلاء رايها حيثما تواجد الفلسطينيون داخل الوطن وخارجه، وبكل الأشكال السلمية المتاحة والممكنة، وليس شرطاً بالأداة العسكرية والصواريخ التي شكّلت جزءاً بارزاً في الحرب الأخيرة التي ستعمل «إسرائيل» بكل قوتها على محاولة تفرغها من نتائجها الإيجابية، بل وتقويضها تشدداً في حصار غزة وإعمارها، دون استبعاد استئناف قريب للحرب بصورة أشد تدميراً لإعادة رسم المشهد.

القادم ليس بالضرورة أن يكون وردياً، بل قد يكون أكثر صعوبة بارتداداته الداخلية، وأفاقه الخارجية، مع أن وقف إطلاق النار تزامن مع استئناف العلاقات الفلسطينية- الأمريكية، وعودة ملف القضية على جدول أعمال البيت الأبيض، فما يجري اليوم هو ترميم ما دمّرت سياسات ترامب، بإعادة العلاقات الثنائية، وفتح القنصلية بالقدس، ومكتب فلسطين بواشنطن، واستئناف الدعم المالي للسلطة والأونروا، ثم إحياء مسار السلام، غير أن هناك كثيراً من العقبات السياسية والقانونية التي تعرقل سرعة ترميم هذه العلاقات الثنائية.

إن ما يطرح اليوم هو عملية إعادة الإعمار كأولوية، لكن عملية الإعمار دون مسار وعملية سلام سيكون تكراراً لمنهج سبق فشله، وهذا تحد كبير، كما أن

الأمر الذي لا يجوز السّماح بتغيّيبه هو مركزية القدس في الوَعْي والممارسة النضالية للشّعب الفلسطينيّ، وأنّ عنوان هذه الحرب التي جمعت كلّ أطراف الشّعب الفلسطينيّ وقواه على امتداد العالم كان القدس. وبالتالي وأياً كانت أولويّات العمل الوطنيّ الفلسطينيّ القادم، فإنّ أولوية الأولويّات هي، القدس عنواناً للنضال، ومفتاحاً للحرب والسلام، وإنّ ما تجسّده من وحدّة للهويّة والإرادة الفلسطينيّة كان الرّافعة لهذا العمود والإنجاز الوطنيّ؛ ما يستدعي الحفاظ على هذا المنجز، بلّ تطويره انطلاقاً من مركزية القدس في الصّراع بإستراتيجية المقاومة الشعبيّة المستمرّة.

المطلوب هو المسار الذي يجعل من الإعمار مُستداماً، والسّلام حقيقةً لإنقاذ حلّ الدولتين الذي يتطلّب جهداً وإرادةً دوليةً قويّةً وحاسمةً، كما يتطلّب داخلياً إنهاء الانقسام، وتحقيق وحدّة النظام بشريّة توافقيّة تفضي إلى دستوريّة، وهذا يتطلّب بدوّه استمراراً لدور مصر التي نجحت بوقف إطلاق النّار في لحظة فارقة بإسناد عربيّ موحد وقويّ. ليستمرّ العمل في إطلاق المسار السياسيّ والإعمار، كما يستدعي إحياء عمليّة سلام حقيقيّة، نحن اليوم أمام فرصة لا ينبغي تفويتها، والعمل نحو بلورة خطوات وإنجازات تدريجيّة تراكميّة في محوريّين:

الأول: مُحاصرة الاستيطان، ووقفه نهائياً مُتزامناً مع توسيع جغرافيا السلطة واختصاصاتها، ومدّها إلى مناطق B و C وإنهاء الحصار على قطاع غزّة.

والثاني: مقاربات سياسيّة جديدة مستمدة من قرارات الشّريّة الدوليّة،

ومبادرة السّلام العربيّة، إلى جانب ترتيب البيت الفلسطينيّ بإنهاء الانقسام،
وتأكيد وحدة النظام والوطن مع تصعيد المقاومة الشعبيّة التي تتجلى اليوم في
أبهى صورها في بلدة بيتا الثائرة.

أخيراً: لقد صنعت وحدة الشعب الفلسطينيّ، وتكامل أدواته النضاليّة؛ من
أجل القدس قلب فلسطين، وهويتها، هذا الإنجاز الكبير، لكنّ الأهمّ من نتائج
الحرب ذاتها، هو كفيّة إدارة تلك النتائج واستثمارها، وإلا ذهبّت سُدَى،
وما زال صوت القدس صوت الثورة عالياً، تُنادي، فهبوا نلبي النداء بانطلاقة
مجيدة جديدة عنوانها القدس، ومضمونها المقاومة الشعبيّة الشاملة في كل
ربوع الوطن.